اغلاط المولدين

(تابع لما قبل)

وعكس ذلك قول ابن النحّاس

نودّ لو كانَ مودوعاً بانفسنا ما تشتكيهِ بعينٍ منك رمداءُ

فقولهُ مودوعاً صوابهُ مُودَعاً لانهُ يقال أودعتهُ الشيءَ ولا يقال وَدَعتهُ.

ومن هذا قولهُ ايضاً

فالقلب صبٌّ ان دنا مذهولُ والصبّ قلبٌ ان نأى متبولُ

والذي في اللغة ذَهَلَ الشيءَ وذَهَلَ عنهُ اذا تركهُ لغفلةٍ او شغل فهو ذاهل ولا يقال مذهول . ولينُظَر ماذا اراد ان يقول في هذا البيت . وبعدهُ

والعقل شيءٌ لا لديَّ ولا معي والسمع بابٌ بعدهُ مقفولُ

وانما يقال اقفلت الباب فهو مُقفَل ولا يقال قَفَلتهُ . وقال طرز الريحان

هندُ قِلّي من التجنّي فلسنا من يرضّيهِ فضلةٌ من فتيتِ

وصوابهُ أَقِلّي تقول أَقللتُ من الشيء اي جئت منهُ بقليل كما تقول في ضدهِ اكثرت . وقال احمد بن عيسى المرشدي

قد اتاني اعتذاركم بعد أنّي بتُّ من هجركَ الاليم اقاسي

فتلقيتهُ بصدرٍ رحيبٍ ولَصَقتُ الكتاب عزًّا براسي

وانما يقال أَلصقتُ الشيء ولَصِق هو من باب تَعِبَ ولا يقال لَصَقتهُ .

وقال رجب الحريري

فيض المدامع نارَ وجدي ما طفا بل زدت منهُ تلهباً وتلهفا

ولا يقال طفأَتُ النار بالمجرَّد وانما يقال اطفأْتها وطَفِئَت هي بالكسر . وبقي هنا تقديم نار على الفعل الناصب لها وهو غير جائز عند النحاة لان الفعل منفيٌّ بما وهي من ذوات الصدر لا يعمل ما بعدها فيما قبلها . ومثلهُ قول ابن مشعل

ولا طفا جمرَ خدٍّ منهُ ملتهباً   وان يكن بالجفا والصدّ احرقني

وقال الحافظ ابن حجر

يا ربِّ اعضاَء السجود عتقتها   من فضلكَ الوافي وانت الواقي

وصوابه أعتقتها لان هذا الفعل لازم تقول اعتقت العبد اعتاقاً وعَتَق هو عِتقاً . وقال الدنوشري

اشكولهُ فرط وجدي علّ يرحمني   ياليتهُ لو صفا يوماً لمكمودِ

ولم يُحكَ مكمود الا في قولهم اكمدت العضو اذا وضعتَ عليهِ الكمادة فهو مكمود وهو من نوادر اللغة كما نبه عليهِ صاحب لسان العرب. وجعل صاحب القاموسِ هذا من الكَمَد بمعنى الهمّ وهو سهوٌ منهُ كما اومأ اليهِ صاحب التاج وانما يقال من هذا مُكمَد على القياس . وقال الصفديّ

وقد لاح الهلال لمن يراهُ   وذيل الليل عند الشرق مَرْخِي

كنونٍ او كنُؤْيٍ او كقوسٍ   بلا وترٍ تراها او كفخِّ

فقولهُ مَرْخِي صوابهُ مُرْخَى لانهُ يقال ارخيتهُ ارخاءً ولا يقال رَخَيتهُ .

ومثلهُ قول الوزير ابي عامر بن شهيد

هبَّ من مرقدهِ منكسراً   مسبلاً للكمّ مرخيَّ الردا

ويتصل بذلك قول ابن النقيب

خفّض عليك اخا الظبآء الغيدِ وارحم مدامع جفنيَ المسهودِ

فقولهُ المسهود خطأٌ لان الثلاثيّ من هذا الحرف لازمٌ تقول سَهِدَ الرجل من حدّ تَعِبَ وسهّدهُ الهمّ بالتثقيل وأسهَدَهُ إِسهاداً حكى هذا الاخير الزمخشري في الاساس . وقال ابن الوردي

وبعدُ فلي شوقٌ اليك ابوحهُ وما كلُّ اسرارٍ عنتني ابوحها

ولا يقالِ بُحْتُ السرّ وانما يقال بُحْتُ بهِ وأَبَحتُهُ وباح هو بؤوحاً اي ظهر .

وقال محمد البيلوني

والدهر لو أنهُ عاداهُ لانقلصت ظلالهُ ورأينا الناس قد حشِروا

والذي في اللغة قَلَص الظلُّ وغيرهُ قلوصاً انقبض وانزوى وقلّصهُ غيرهُ تقليصاً فتقلّص ولا يقال انقلص لانهُ لم يُسمع قَلَص متعدياً . وقال ابو العباس النامي

وشكّكَ فيَّ عذّالي فقالوا لرسم الدار ايكما العميدُ

اراد شَكَّ فيَّ عذّالي اي خامرهم الشك في امري وانما يقال شكّكَ اذا حمل غيرهُ على الشك . ومثلهُ قول الصفيّ الحلّي

كانما صاغهُ الرحمن تذكرةً لمن يشكّك في الولدان والحُورِ

وقال البهآء زهير

أغُصنَ النقا لولا القوام المهفهفُ لما كان يهواكَ المعنّى المدنّفُ

وانما يقال مريضٌ مُدْنَف بالتخفيف وبفتح النون وكسرها ولا يقال مدنّف . وقال طرز الريحان

واعيا طلابي من زمانيَ صاحباً يكون لحالي بالوفآء منهّضا

اراد يكون منُهِضاً لحالي فجآء بهِ من باب التفعيل . وقال ابن زمرك

وبالخيف يوم النفر يا امَّ مالكٍ تخلّفتُ قلبي في حبالكِ عانيا

اراد خلَّفتُ قلبي اي تركتهُ خلفي فعدل الى تخلفت لاقامة الوزن . وفي طريقهِ قول الموسوي

اقولُ لركبٍ رائحين تعرَّجوا اريكم بهِ فرعاً من المجد ذاويا

واراد عرِّجوا اي ميلوا فجآء بهِ على تفعَّل . وأبعد منهُ قول حسين ابن الجزري

نتفدَّاك ساقياً قد كساك ال حسنُ من فرقك المضيء لساقك

يريد نفديك ساقياً ولم يُنقَل تفدّاهُ في شيء من اللغة لا بهـذا المعنى ولا بغيرهِ . وقولهُ كساك الحسن صوابهُ كُسِيتَ الحسن لان الحسن هنا مشبَّه بالثوب وهو يكون مكسوًّا لا كاسياً . ومن قبيل هذا قول ابن حجة الحموي

سهام جفنيك في الحشا رَشَقَهْ رفقاً فما مهجة الشجي دَرَقَهْ

الرَشَقَة جمع راشق وصف بهِ السهام وهي انما تكون مرشوقةً لا راشقة .

وقال محمد الحُصري

أَدِر المدامةَ يا مليك الانفسِ ممزوجةً من ثغرك المتلعسِ

يعني بالمتلعس الذي بهِ لَعَس وهو سوادٌ مستحسنٌ في الشفة وصف بهِ الثغر على ارادة الشفة مجازاً وانما يقال من هذا أَلعَس كأحمر وقد لَعِس لَعَساً ولُعسةً ولم يسمع المتلعس الا بمعنى الكثير الأكل . وقال عليّ ابن الجهم

تنكَّر حالَ علّتيَ الطبيبُ　　وقال ارى بجسمك ما يريبُ

يريد انكر الطبيب حال علتي فعبَّر بتنكَّر وانما يقال تنكَّر الشيء اذا تغيَّر عن حالهِ ولم يُسمع تنكَّرهُ بمعنى انكرهُ . وقال ابو القاسم الزعفراني

وليـلٍ دعاني فجرهُ فلقيتهُ　　بمجلس طلق الوجه سهل التخلُّقِ

واراد سهل الخُلُق فعبَّر بالتخلُّق وهو عكس مرادهِ لان التخلق بمعنى تكلف الانسان خلاف ما في خلقهِ . ونحوهُ قول ابن هاني

حسبوا التكحُّل في جفونك حليةً　　تالله ما بأَكفُهم كحلوكِ

يعني بالتكحل الكَحَل بفتحتين وهو ان تكون الاجفان سودآء خلقةً وانما التكحل ما يكون بالصنعة وهو ما انكرهُ في عجز البيت . قال ابو الطيب

لان حلمك حلمٌ لا تَكلَّفهُ　　ليس التكحُّل في العينين كالكَحَلِ

(ستأتي البقية)

المرأة الشرقية

(تتمة ما سبق)

ومن تفقد كتب التاريخ والتراجم ولا سيما تاريخ الاندلس وجد من ذكر النسآء الشاعرات والمنشئات وما لهنَّ من بدائع النظم والنثر والبلاغة في المخاطبات والمكاتبات ما لا يمكن استيفآؤهُ في مثل هذه المقالة ولكني ذكرت ما ذكرتهُ من كلامهنَّ للدلالة على ما كانت عليهِ نسآء تلك العصور من الميل الى الآداب والاشتغال بما يرفع مقامهنَّ ويُظهر ما تحلّت بهِ فِطَرهنَّ من الذكآء والفطنة مما لا يكدنَ ينزلنَ فيهِ عن مرتبة

الرجال . ولا ريب انهُ لو اشتغلت نسآء عصرنا بالامور الادبية والعقلية عوض ما هنَّ فيهِ من صرف العمر في الاباطيل والزخارف الخارجية والتقليد الفارغ لظهر منهنَّ نوابغ يحرزنَ جميل الذكر وجليل الفخر ويخلدنَ اسمآءهنَّ في صحيفة الدهر . فان نسآء ذلك العصر لم يكنَّ اسمى عقولاً منهنَّ ولا اوفر وسائط لو شئنَ ان يسلكنَ مسلكهنَّ وقد قال الشاعر

اذا اعجبتكَ خصال امرئٍ فكُنْهُ تَكُنْ مثلما يُعجبكْ
فليسَ عن الفضل والمكرماتِ اذا رُمتَها حاجبٌ يحجبُكْ

على اننا لا نبرّئ الرجال من تبعة هذا التقصير فان المرأة اذا رأت اباها واخوتها وسائر من يتصل بها من الرجال الذين تعيش بينهم ذوي ادبٍ وعلم جذب ذلك رغبتها الى اقتفآء سبيلهم والجري على طريقتهم . واقرب شاهدٍ لنا على ذلك نسآء الجاهلية فانهنَّ مع فقد المدارس وعدم وجود التعليم ومع ان رجالهنَّ كانوا قوماً اميين الاَّ من ندر منهم فقد كان اكثرهنَّ فصيحاتٍ بليغاتٍ وكان بينهنَّ ما لا يُحصَى من الشاعرات وربما وُجد منهنَّ من تخطب الخُطَب وتتكلم بما يُعجِز ابلغ الكتاب في هذا العصر وما ذلك الا لانهنَّ كيفما ذهبنَ لا يسمعنَ الا الشعر والكلام البليغ على ما هو معروف من شأن أولئك القوم الذين كانوا يسكنون الخيام ويتعاطون رعاية المواشي . ولكننا نجد الرجال في ايامنا قلما يلتفتون الى الامور الادبية او العلمية او يبالون بغير الترَف واللهو وحشد الاموال والزخارف الفارغة والمتعلمون منهم لا يتجاوزون ما تقدم ذكرهُ في الكلام على النسآء من تعلم بعض اللغات الاوربية ثم قضآء الاوقات في مطالعة

الروايات التي اكثرها مفسد للاخلاق والآداب . وزد على ذلك ما ذُكر من تشبههم بالافرنج في كل شيء بحيث انهُ لم يبقَ عندنا للوطنية اثر واصبحت منازلنا وملابسنا ومجالسنا ومحادثاتنا كلها افرنجية وذلك مع خلوّنا من علوم الافرنج وصنائعهم وسائر مزاياهم فكاننا رضينا من ذلك التشبه بهذه القشور. ويا ليتنا مع هذا كلهِ نتشبه باخلاق اكابرهم واكارمهم فاننا لو تفقدنا الأُسَر الشريفة منهم لوجدناها على خلاف ما نفتخر بهِ من تلك الظواهر او النقائص التي اقتبسناها عن بعض ادنيآئهم كالخلاعة والتهتك في الملابس والمجاهرة بالامور المعيبة التي يخجل القلم من تسطيرها ووصفها

وفوق كل ذلك ما هو معروف عند بعض نسآئنا من الخرافات والاوهام والعقائد الباطلة مما لا يتكفل بنزعهِ الا العلم الصحيح . ولا تخفى نتائج ذلك في التربية لان الطفل اكثر ما يكتسب معارفهُ الاولى من والدتهِ لانهُ يربى بين يديها وتحت نظرها وارشادها ومن طبعهِ انهُ يسأل عن كل شيء يراهُ او يجول في فكرهِ ولا يجد امامهُ من يسألهُ الا امهُ فاذا لم تكن متنورة تميز الصواب من غيرهِ لقنتهُ الخرافات والاباطيل فينشأ عليها وترسخ في ذهنهِ حتى يتعذر اقتلاعها منهُ وربما شاخ وهي عندهُ من الحقائق الراهنة . وبخلاف ذلك ما اذا كانت الامّ من المتعلمات العارفات بحقائق الاشيآء فانهُ لا يسألها عن شيء الا سمع عنهُ جواباً صحيحاً فينشأ على معرفة حقيقية بالامور حتى انهُ اذا كانت امهُ عارفةً ببعض الحقائق العلمية والطبيعية كانت تربيتها لهُ بمثابة دروس تمهيدية فاذا دخل

المدارس بعد ذلك كان عارفاً بكثيرٍ من تلك الحقائق قبل ان يلقّنها

نعم ان بعض نسآء الغرب قد تطرفنَ في طلب العلميات الى حدٍّ لا تسمح بهِ حال المرأة ووظائفها الطبيعية كالاشتغال بالاعمال الكيماوية والحسابات الفلكية وما اشبه ذلك مما يستلزم التفرُّغ لهُ وهي ليس في وسعها ذلك لانهُ يفضي الى تعطيل المصالح البيتية التي هي المسؤولة عنها والتي لا تترك عندها وقتاً لتعاطي مثل هذه الاعمال . ولكن الاشغال البيتية لا تستغرق جميع اوقاتها وعلى الخصوص اذا كانت من ذوات اليسار وعندها من الخدم من يعاونها على خدمة منزلها فانهُ يفضل عندها من اوقات الفراغ ما يمكن ان يقدَّر بنصف العمر على الاقلّ فلا ينبغي لها ان تضيع هذه الاوقات سدًى ولا ان تهمل الموهبة العقلية التي منَّ عليها بها الخالق عزّ وجلّ . فاذا لم تكن من اللواتي درسنَ العلوم او من ذوات القريحة التي تمكنها من تعاطي الانشآء او الشعر يحسن ان تشغل اوقاتها بمطالعة الكتب المفيدة وخصوصاً كتب التاريخ التي من شأنها ان توسع دائرة العقل وترفعهُ عن الخرافات والخزعبلات وتفيد المطالع بصيرةً في كثيرٍ من الحقائق العلمية لان التاريخ يتعرض لجميع المباحث المتعلقة بالانسان من علمية وسياسية واجتماعية وغيرها . واذا كانت من ذوات المقدرة على الكتابة نثراً او نظماً فانها تستطيع ان تبقي لها اجمل اثر بما يسطرهُ بنانها من حكمةٍ او ادب او غير ذلك مما يكسبها رفعة المقام وبقآء الذكر ويمكن ان يكون منهُ للمطالع فائدةٌ تذكر

هذا واني لا ابرئ نفسي من الاتصاف ببعض ما ذكرتهُ في هذه

المقالة من التقصير الذي وسمت بهِ غيري من النسآء ولكن الامر لا يخلو من ان قلة الكاتبات والمنشئات تدعو الى التقاعد والجبن ولا سيما واني مقرّة بقلّة المادّة وضيق الاطلاع فعسى ان يوجد في اديبات العصر من تنبههنَّ كلماتي هذه فينهضنَ لاصلاح حالتنا النسآئية ولا يخجلنَ ان يكتبنَ بلغتنا العربية اذ كنَّ من القادرات على الانشآء فيها وهذه الجرائد والمجلات ترحب بكل مقالةٍ تأتيها من احداهنَّ فان لم تؤثر كتاباتهنَّ الاثر المطلوب كنَّ قد قمنَ بما عليهنَّ والله الهادي الى سوآء السبيل وردة اليازجي

الانتقاد

لا يخفى ان الانتقاد من ادقّ الامور مأخذاً واجلّها خطراً اذ هو المقياس الذي يتوقف عليهِ سداد الحكم في صحيح الامور وفاسدها والمرآة التي تتجلى فيها صُوَر الحقائق بارزةً عن الشكوك والشبهات فلا بدّ لمتعمدهِ ان يستعين لهُ بأداتهِ التي هي صدق النظر في الامور والوقوف منها موقف المنصف الخبير الذي لا يحكم الا بعد البيّنة ولا يأخذهُ في الحكم محاباةٌ ولا تحامل

ومع ما ذكر من شرف هذا الفن وخطر موضوعهِ فلم نجد فيمن تقدّم من تفرغ لبسط الكلام فيهِ وتفصيل الجهات التي يتعين على الناقد مراعاتها والتدقيق فيها الى حدٍّ تنتفي معهُ الجهالة واللَبْس ويؤمن الشطط والمجازفة . ولقد طالما كان يخالج صدرنا ان نكتب في ذلك الفصول المطوَّلة ولا سيما وقد انتشرت فوضى الاقلام لهذا العهد وكثر المتطفلون على هذا الفنّ الجليل يلغط كلٌّ منهم على قدر ما يملي عليهِ هواهُ ويوحي اليهِ مبلغ علمهِ وذوقهِ الى ان عثرنا منذ ايام على تأليفٍ حديث لحضرة صديقنا العالم اللوذعيّ الشاعر الناثر عزتلو قسطاكي بك الحمصي نزيل مصر حالاً سماهُ « منهل الوُرّاد في علم الانتقاد » وهو سفرٌ جليل بسط فيهِ القول

على قوانين النقد واحكامهِ وما تجب مراعاتهُ فيهِ من احوال الشيء المنتقد وما يتصل بهِ من اختلاف الزمان والمكان والعادات والاذواق وسائر الامور العامّة والخاصّة مما يكشف عنهُ ويرشد الى وجه الحكم فيهِ . وقد احاط في هذا المؤلَّف بكل ما تدعو الحال الى انتقادهِ من الامور العلمية والادبية والصناعية وغيرها وتوسع فيهِ ما شآء في ايراد الامثلة والشواهد زيادةً في البيان وتعزيزاً لمكان الحقيقة التي هي ضالّة الناقد المنصف

والكتاب لا يزال بخط اليد ولعلهُ سيشرع في طبعهِ قريباً غير انهُ لما كان يهمّ المتأدبين الوقوف على شيء من اسلوبهِ استأذنّا حضرتهُ في نشر نموذجٍ منهُ على صفحات الضيآء فبعث الينا بالفصل الآتي وهو الفصل الثاني من القسم الثاني منهُ وبمطالعة هذا الفصل تُعلَم مزية الكتاب ومقدار ما اودعهُ من الفوائد وما عانى فيهِ من الجهد في البحث . وهذه صورة الفصل المذكور

﴿ تعريف العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ ﴾

اعلم انهُ لا يتيسر الكشف لمعرفة العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ الا بالوقوف على الاسباب والمؤثرات التي دعت الكاتب ان يكتب الرسالة او الكتاب او القصيدة المنقودة على تلك الصورة فيما ان سواهُ يكتبها على وجه آخر. وهذا كلهُ يصدق على الكتابات الادبية او ما في معناها واما الكتب العلمية فلا تدخل في هذا البحث

واعلم ان الوقوف على هذه الاسباب يقوم بالبحث عن احوال الكاتب فيقتدي الناقد بالطبيب او الجرّاح الذي لا يكون نطاسياً ولا يكون حكمهُ على العلّة ومحلها في الجسم مصيباً حتى يحسن معرفة تشريح الجسم الانساني ووظيفة كل عضوٍ من اعضآئهِ

وبحث الناقد يجب ان يكون عن سنّ المؤلف لعهد تأليفهِ المنقود

وحالة دنياهُ من فرحٍ او حزن وفقر او غنى وعن صحتهِ هل كان سليماً او سقيماً ، ضعيفاً او قويّاً ، عصبيّاً او دمويّاً ، وعن اصلهِ هل كان كريماً او لئيماً او من اواسط الناس وهل تلقّى في مدرسة او هو ابن اجتهادهِ وعن مسقط رأسهِ وهل المدينة التي نشأ فيها من المدن الشمالية او الجنوبية شديدة البرد والحرّ او معتدلتهما وهل كان متزوجاً او عزَباً وهل كان لهُ اولاد او لا وهل عشق او حزن حزناً مفرطاً على فقد عزيزٍ او مال وهل كان ممازحاً او وقوراً وهل كان يعاقر الخمرة او يقامر وهل كان شرهاً او عفيفاً . وبالجملة فعلى قدر البحث والامعان في التدقيق وقوة بصيرة الناقد تظهر العلاقة بين الكاتب وانشآئهِ للمطالع وكلما كانت اكثر خفآءً واشد غموضاً ضعفت احكام الناقد الاَّ مَن أُوتوا الذكآء النادر والعلم الوافر وقليلٌ ما هم

وانت تعلم ان الراغب في معرفة اخلاق الفرد من البشر او في تصويرهِ يتقصّى في البحث عن ملامحهِ وسائر احوالهِ الظاهرة من الغضب او الحلم ، السهر او كثرة النوم ، الاستقامة او المكر ، الى غير ذلك مما يدلّ على اخلاقهِ اتم دلالةٍ . فبمثلهِ ناقد اقوالهِ اذ هي بنات افكارهِ وترجمان اسرارهِ يجب عليهِ ان يبحث ويدقق فمرآة المرء انشآؤهُ

وكما ان الانشآء يدلُّ على المنشئ فكذلك الوقوف على احوال المنشئ تساعد الناقد على كشف اسرار الانشآء . فانك اذا علمت ان الشاعر المأموني مثلاً هو من اولاد المأمون الخليفة العباسي وانهُ صاحب تلك النفس الشريفة والنسب الرفيع وانهُ كان يطمح ببصرهِ الى الخلافة ويمني

نفسهُ قصد بغداد في جيوش تنضمُّ اليهِ من خُراسان لفتحها لم تعجب من قوله

اراني ابنَ عشرينَ او دونها　　وقد طبّقَ الارض شعري مسيرا
اذا قلت قافيــةً لم تزل　　تجوبُ السهولَ وتطوي الوعورا
ولو كان يفخرُ ميتٌ بحيٍّ　　لكان ابو هاشمٍ بي فَخُورا
ولوكنتُ أَخطُبُ ما استحقُّ　　لما كنتُ اخطبُ الا السريرا

ولا من قولهِ في قصيدةٍ اخرى

انا بين احشاء الليالي نارُ　　هي لي دخانٌ والنجوم شرارُ
فمتى جلا فجرُ القضاء ظلامها　　صَلِيَتْ بيَ الاقطارُ والامصارُ
بي تحلم الدنيا وبالخبر الذي　　لي منهُ بين ضلوعها اسرارُ
فبكلّ مملكةٍ عليَّ تلهفٌ　　وبكل معركةٍ عليَّ أُوارُ

واذا علمت ان ابا فراس الحمداني هو الامير المجيد والشجاع الوافر الادب والجود والنبل صاحب الكلام الرشيق البليغ الرصين العالي وانهُ ابن عم سيف الدولة ملك حلب لم تعجب من قوله يعاتبهُ

قد كنتَ عُدَّتيَ التي اسطو بها　　ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرُميتُ منك بغير ما أَمَّلتُهُ　　والمرءُ يَشرَقُ بالزلال البارد
فصبرتُ كالولد التقيِّ لبرّهِ　　اغضى على ألمٍ لضرب الوالدِ

ولم تعجب من قولهِ وقد كتب بها اليهِ من الاسر

فمثلك من يُدعى لكل عظيمةٍ　　ومثليَ من يُفدَى بكل مسوَّدِ
تَشبَّثْ بها اكرومةً قبل فوتها　　وقم في خلاصي صادق العزم واقعدِ

فان تفتدوني تفتدوا شرف العلا وأسرع عوّادٍ اليكم معوّد
يدافع عن اعراضكم بلسانهِ ويضرب عنكم بالحسام المهنّدِ
متى تُخلِفُ الايامُ مثلي لكم فتىً طويلَ نجادِ السيف رَحْبَ المقلّدِ
ولا وأَبي ما ساعدانِ كساعدٍ ولا وأَبي ما سيّدانِ كسيّدِ

واذا علمت ان ابن الاثير الجزري صاحب كتاب المثل السائر كان وزير الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين الايوبي وانهُ كان ذا نفس الى المناصب طموح وطبعٍ الى الغضب جموح واطماعٍ وكبريآء وقساوةٍ وازدرآء اساء العشرة مع اهل الشام حتى كادوا يذيقونهُ كأس الحِمام وتعدد منهُ في مصر قبيح الفعل فهرب منها مستتراً خوف القتل وخرج من حلب مغاضبا ومن إربِل وسنجار معاتبا اذا علمتَ ذلك كلهُ لم تعجب من خيلآء الرجل واعجابهِ بنفسهِ وقولهِ في مقدمة المثل السائر « وهداني الله لابتداع اشيآء لم تكن من قبلي مبتدَعَه ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون اقوالها تابعةً وانما هي متّبَعه » . ولا من قولهِ في موضع آخر « وهو مما يدلّ على حذاقة الكاتب وفطانتهِ وكثيراً ما تجدهُ في مكاتباتي التي انشأتها » الخ . ولا من قولهِ بعد ذلك « ولقد مارستُ الكتابة ممارسةً كشفت لي عن اسرارها واظفرتني بكنوز جواهرها اذ لم يظفر غيري باحجارها » الى ان يقول « فمن وقف على ما ذكرتهُ علم اني لم آتِ شيئاً فريّا وان الله قد جعل تحت خواطري من بنات الافكار سريّا » الى غير ذلك مما حشا بهِ كتابهُ المذكور حتى كدّر صفا احسانهِ وشوّه محاسنهُ . وليس هذا موضع نقد الكتاب وانما ذكرت

لك هذه الامثلة تعزيزاً لمعرفة اسرار العلاقة بين الكاتب وانشآئه ِ وقد اختصرتُ ما امكن خوف الملل ولعلي اعود اليه ِ في فصل آخر . والبحث في هذا المعنى يستدعي زيادةً في الافاضة والشرح مما ارجو ان يفيهُ حقَّهُ من يكتب فيهِ بعدي

على ان هذا الفرع من فروع علم النقد عند الافرنج اسهل منالاً واوفر ثمرةً مما هو عندنا وذلك لجِدّة حضارتهم وآداب لغاتهم وربما كان لقلة عدد ادبآء كل امة من اممهم وانحصارهم في بلاد معلومة من كل مملكة بالنسبة الى كثرة عدد ادبآء العرب وتنقلهم من مكانٍ الى آخر ومن مملكةٍ الى مملكة على اتساع الممالك التي دوّخوها بل تنقُّلهم من الغرب الى الشرق وبالعكس . ولهذا السبب والله اعلم قد ندّ عنا اكثر احوالهم وسني مواليدهم ووفياتهم بل ذهبت عنا اسمآء كثيرين من اعاظم ادبآئهم وشعرآئهم ممن اكلت مؤلفاتهم نيران الحروب . هذا فضلاً عن اهمال اكثر مؤرخي العرب ومترجمي اعلامهم ذكر الملامح وتفصيل السحنات التي يحتاج الى معرفتها الناقد فان المتنبي مثلاً مجهول الملامح عندنا فلا نعلم أقصيرٌ هو ام طويل ، أمهزول ام سمين ، ابيض ام اسمر ، كبير الانف ام صغيرهُ ، اقناهُ ام اخنسهُ ، كبير العينين ام صغيرهما ، غائرهما ام بارزهما ، مخروط الوجه ام مستديرهُ ، الى غير ذلك من وصف مزاجهِ واخلاقهِ وغرائزهِ كالبخل والكرم واللؤم والحلم وغيرها . ولكنهم كانوا حراصاً على ذكر الانساب والكنى والتعريف ، فقد تروم الوقوف على ترجمة الحافظ ابي حسن القدسي مثلاً وتفتش عنها كثيراً فلا تهتدي

اليها الا بمعجزة وذلك لكثرة الكنى قال ابن خلكان « ابو الحسن علي بن الانجب ابي المكارم المفضل بن ابي الحسن علي بن ابي الغيث مفرج ابن حاتم بن الحسن بن جعفر بن ابراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي الاصل الاسكندراني المولد والدار المالكي المذهب »

وليس ذكر الاسمآء الكثيرة او النسب محل المؤاخذة في هذا الموضع لكن ذكر الاسمآء والكنى معاً .وكان يُستغنى بذكر الاشهر من ذلك تخفيفاً واراحةً لذهن القارئ

ولو قلّبت كتاب الاغاني على ضخامتهِ لما وجدت ذكراً للملامح والسحنات او تفصيلاً لذلك الا لبعض افرادٍ كالحطيئة الشاعر قال « كان دميم الخلقة هجّآء جشعاً سؤولاً مُلحِفاً دني النفس قبيح المنظر رَثّ الهيئة » وهذا اكثر ما فيهِ وصف الاخلاق لا وصف السحنة . ولو فليت ديوان الحماسة ويتيمة الدهر وقلائد العقيان ومطمح الانفس ودمية القصر والوفيات ونفح الطيب وغير ذلك من كتب التراجم والتواريخ لما وجدت وصفاً صحيحاً وافياً بهذا الغرض غير وصف ابن خلكان لابي مسلم الخراساني فانهُ يقول « وصف المدائني ابا مسلم فقال كان قصيراً اسمر جميلاً حلواً نقيّ البشرة احور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الشعر طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت لم يُرَ مازحاً او ضاحكاً الا في وقتهِ ولا يكاد يقطّب في شيء من احوالهِ واذا غضب لم يستفزّهُ الغضب تأتيهِ الفتوحات العظام فلا يظهر عليهِ اثر السرور وتنزل بهِ الحوادث الفادحة فلا يُرَى مكتئباً »

وهذا الوصف البديع وان كان ناقصاً لانهُ لم يذكر هيئة وجههِ هل كان مستديراً او مخروطاً ولا شكل انفهِ ولا فمهِ بيد انهُ وصفٌ يمكن بهِ تصوير الموصوف في مخيّلة الناقد . ومثل ذلك ما ذكرهُ عن ابي حنيفة النعمان قال « كان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المؤاساة لاخوانهِ وكان ربعةً من الرجال وقيل كان طوالاً تعلوهُ سُمرة احسنهم منطقاً واحلاهم نغمة » ووصف غير هذين العلَمين ايضاً بيد ان جل التراجم عُطُل من ذلك

وقل مثل ذلك في تواريخهم الا ما رُوي عن ملامح بعض الخلفآء قال ابن الاثير ما محصلهُ « كان المنصور اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من افصح الناس واحسنهم خُلقاً ما لم يخرج الى الناس واشد احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان (كذا) فإذا لبس ثوبهُ اربدّ لونهُ واحمرّت عيناهُ وكان حازماً حليماً شجاعاً بصيراً بأمور الحرب والسياسة داهية وقد اجمع الرواة على شدة بخلهِ وحكمتهِ وفضلهِ وعدلهِ » . قال « وكان عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم اعور لهُ ضفيرتان وكان فصيحاً لسناً شاعراً حليماً عالماً حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليهِ لا يخلد الى راحةٍ ولا يسكن الى دعةٍ ولا يكل الامور الى غيرهِ ولا يتفرد في الامور برأيهِ شجاعاً سخياً شديد الحذر وكان يقاس بالمنصور في حزمهِ وشدة ضبطهِ المملكة »

فاذا اضاف الناقد الى علم الفراسة التي لا بد لهُ منها شيئاً من الوقوف على المكان والزمان والاحوال التي كتب فيها الكاتب ذلك الكتاب أو

الرسالة أو القصيدة لم يبطئ ان تجلي لهُ اسرارها فيعلم ان كلمة كذا أو جملة كذا لم تسقط من قلم المنشئ الا لتغلُّب الهم أو الحزن عليهِ أو الفرح الذي استخفهُ او لخمار الخمر او لغير ذلك من اسباب الخوف او الدعة او الطيش او السكون او لحدّة التصور او البلادة الى غير ذلك من آثار الاحداث النفسانية وانها لم تسمُ او تحطّ عن سائر كتاباتهِ الاّ للسبب المكتشَف ومتى تمكنت هذه الملكة من الناقد واطّلع على شيء من انشآء المؤلف ثم عرض لهُ من قلمهِ ما يسفل او يرتفع عما كان اطلع عليهِ اسرع في كشف السرّ وبيان السبب . وهذه الملكة وان كانت عزيزة المنال الا انها كسائر الملكات تحصل للرجل بادمان المطالعة وتحصيل العلوم اللازمة لها خصوصاً اذا أُوتي ذوقاً سليماً وقلباً علياً وارادةً صادقة

فوائد

افضل طريقة لسلق البيض النيمرشت — العادة المتعارفة في ذلك ان يُغمس البيض في المآء الغالي مدة ثلاث دقائق ولكن هذه الطريقة لا يكون الانعقاد بها متساوياً في جميع اجزآء البيضة فان القسم الخارجي من البياض يقسو فيشقّ هضمهُ على المعدة حالة كون المُحّ اي الصفرة يبقى نيئاً . وذلك فضلاً عن صعوبة ضبط الوقت لان فرق نصف دقيقة زيادةً أو نقصاً يؤثر في حال البيضة

فالافضل على ما جآء في احدى المجلات العلمية ان يُعدَل في سلقهِ الى طريقةٍ اخرى وهي ان تؤخذ الكمية الكافية من المآء بالقياس الى

عدد البيض المراد سلقهُ كأن يؤخذ مقدار لتر لثلاث بيضات ويوضع الماء على النار فاذا بلغ الغليان يُنزَل عن النار ويوضع فيهِ البيض ويُترَك مدة عشر دقائق او نحوها . فاذا وُضع البيض في الماء كذلك ابتدأ الماء يبرد حين يبتدئ البيض في السخونة ثم يأخذ البيض في البرودة ايضاً حتى يبردا كلاهما معاً وعلى هذا الوجه تنتشر حرارة الماء في جميع اجزاء البيضة على السواء ويكون الانعقاد متساوياً كذلك

والبيض المسلوق على هذه الطريقة يختلف منظرهُ عن منظر البيض المسلوق على الطريقة المألوفة فان الآح اي البياض لا يكون شحميّ المنظر ولكنهُ يكون زيتيّ الهيئة او لبنيًّا صافياً والمحّ يكون اجمد من الآح وهو عكس الحالة السابقة . واما تعيين المقدار اللازم من الماء لكل عددٍ من البيض أو تعيين الوقت اذا كان الماء زائداً على اللزوم فكلاهما يتوصل الى معرفتهِ بالاختبار

اسئلة واجوبتها

أزوا (دومينيكا) — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١)　يقال انهُ يوجد جمهورية صغيرة في جبال ايطاليا في الجهة الشمالية منها مساحتها اثنان وعشرون ميلاً مربعاً وسكانها لا يزيدون على ثمانية آلاف نفس فماذا تسمى تلك الجمهورية وهل لها تاريخ معروف

(٢)　قرأت في بعض الكتب ان اصل الاسبوع من القمر وان الناس منهُ اخذوا حساب الاشهر فهل ذلك صحيح　حنا الياس العريان

الجواب — اما الجمهورية المذكورة فتسمى جمهورية سّان مارّين وهي اصغر حكومات اوربا وحدودها لا تتعدى قاعدة الجبل الذي هي قائمةٌ فيهِ ويُعرَف بجبل تيتان وهو جبلٌ شاقّ المرتقى منطقع عن كل ما يجاورهُ من الجبال المؤلفة منها سلسلة جبال الابانين وفي قمتهِ مدينة سّان مارّين المسماة الجمهورية باسمها

اما تاريخ هذه الجمهورية فذكروا انهُ في اوائل القرن الرابع للميلاد في عهد الامبراطور ديوكليتيان اشتدّ الاضطهاد على اهل النصرانية وان رجلاً من الجند من اهل دلماسيا يقال لهُ مارّين خاف من الاضطهاد ففرّ الى هذا الجبل وانقطع فيهِ للعبادة والنسك . وكان الجبل ملك امرأةٍ رومانية يقال لها فلّيشيسيما وكان لها ولدان شابّان فلما علما بفرارهِ الى الجبل خافا ان يلحقهما سوء بسببهِ فطرداهُ منهُ ولما ضايقاهُ ابتهل الى الله ان يكفيهُ امرهما فاصيبا للحال بمرضٍ ثقيل فتركاهُ وتحاملا الى منزلهما . واشتدّ الدآء عليهما حتى انقطع الرجآء من سلامتهما وخطر لوالدتهما ان ذلك لا بد ان يكون بسبب تعرضهما لذلك الرجل الصالح فانطلقت اليهِ وسألتهُ ان يبتهل الى الههِ في شفآئهما فاجابها الى ذلك وشُفي الولدان . واذ ذاك تنصرت المرأة وابناها وتبعهم خمسون شخصاً من انسبآئهم وخوَلهم ولم يلبث امر الناسك ان اشتهر واخذ بعض المتورعين يقصدون مقرّهُ للتبرك بجوارهِ وابتنوا لهم مساكن اقاموا بها و بعد حين اصبح ذلك المكان مدينةً فيها اليوم لا اقلّ من ٥٠٠٠ نفس . وتوالى العمران بعد ذلك في سائر انحاء الجبل واقام اهلهُ حكومةً لهم يتولى الحكم فيها

مجلس شيوخ يتألف من ٦٠ عضواً وتنفذ الاحكام على يد نائبين ينتخبهما مجلس الشيوخ ويجدّد انتخابهما كل ستة اشهر . ولهم مجلس شُورَى مؤلف من ١٢ شخصاً يجدَّد انتخاب ثلثهم كل سنة . واما الاحكام القضائية فيفصل فيها قاضٍ يُنتخَب من خارج الجمهورية ويكون انتخابهُ لمدة ثلاث سنوات فيقيم في الجمهورية مدة انتخابهِ

واما اصل تقسيم الايام الى اسابيع فهو كما ذكرتم لان من راقب القمر من الهلال الى الهلال يجد ان اشكالهُ يمكن ان تُقسَم الى اربعة اقسام احدها من اول ظهور الهلال الى ان يبلغ النور نصف قرصهِ والثاني من الحدّ المذكور الى ان يكمل ويصير بدراً والثالث من البدر الى ان يعود نصفاً والرابع الى ان يعود الى الهلال وكل واحد من هذه الاقسام او الارباع يتم في نحو سبعة ايام فجُعلت اقساماً للزمن وجُعل مجموعها شهراً . ثم انهُ اذا رُوقِب مكان القمر من دائرة البروج وُجد انهُ يعود الى الصورة التي بدأ منها بعد اثني عشر شهراً على التقريب فجُعِل ذلك سنةً قمرية . وهذا الحساب مع انهُ اقلّ دقةً من الحساب الشمسي فهو ولا ريب اقدم عهداً لانهُ ظاهرٌ للعيان لا يحتاج الى مراقباتٍ دقيقة بخلاف الحساب الشمسي كما لا يخفى

آثار ادبيّة

بحر الآداب — أُهدي لنا الجزء الخامس من مؤلَّفٍ بهذا العنوان لحضرة واضعهِ الفاضل الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير

بمصر . وهذا الجزء يتضمن طريقة تعليم الانشآء وقد سلك فيهِ احسن مسلكٍ في التبويب والترتيب مع التبسط في مباحث هذا الفن ومذاهبهِ واورد فيهِ من الامثلة والشواهد نظماً ونثراً من كل طبقةٍ من طبقات الكتّاب والشعرآء ما يكون افضل مثالٍ يحتذيهِ المتعلم . فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل لما يبذل من العناية في هذه اللغة ونحضّ الادبآء والدارسين على اقتنآء هذا السفر المفيد وهو يقع فيما يقرب من مئتي صفحة كبيرة ويباع في مدارس الفرير وفي المكاتب المشهورة في القطر وثمنهُ عشرة قروش مصرية خلا اجرة البريد

اثر حسن لفقيد الوطن — انتهت الينا نسخةٌ من كتاب بهذا العنوان يتضمن ترجمة المرحوم الطيب الذكر الدكتور سليمان الخوري الحمصي وما قيل فيهِ من التآبين والمراثي منسوقاً كل ذلك بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود نزيل القطر المصري حالاً . وقد استوفى فيهِ كل ما يتعلق بالفقيد الكريم من ترجمة حياتهِ وبيان اخلاقهِ وصفاتهِ وما لهُ من الخِدَم بازآء الدولة والوطن وختمهُ بذكر ما كان من الاحتفال بكشف التمثال الذي نُصِب لهُ فوق ضريحهِ وما تُلي عليهِ من الخُطب والقصائد . فنثني على همة حضرة الاستاذ المشار اليهِ وعنايتهِ باحيآء ذكر اولي الفضل والاحسان كما نثني على سراة اهل حمص لمعرفتهم قدر من يقوم بينهم من اكابر الرجال ونسأل للفقيد جزيل الرحمة والرضوان

فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٨ —

خمس بزرات البرتقال

كانت سنة ١٨٨٧ كثيرة الحوادث اشتهر فيها شرلوك بكشفهِ عن عدة مخبآت عجزت رجال الشحنة عن ادراكها ولا بد ان اذكر تفاصيلها العجيبة في وقت آخر . وفي يوم من اواخر شهر سبتمبر من تلك السنة كان البرد قارصاً والجوّ شديد الرياح والزمهرير ولم ينقطع المطر النهار بطولهِ . ولما جآء المسآء اشتدت العواصف فبقيت وشرلوك في غرفتهِ بازآء النار وقد سُجنّا فاخذ شرلوك بعض كتبهِ وجعل يبحث فيها ورأيت انا امامي رواية غرقت في تلاوتها الى ان سمعت الباب يقرع فقلت لهُ ان صديقاً قادمٌ لزيارتك . قال انا ليس لي صديق سواك فلا يزورني احد . قلت اذاً القادم غريب يود استشارتك في امرٍ ما . قال اذا كان كذلك فلا بد ان تكون القضية في منتهى الاهمية والا لما جآء في مثل هذا الوقت تحت هذه العواصف والامطار . ولما قال ذلك فُتح الباب فدخل فتى في الثانية والعشرين من عمرهِ حسن الهيئة واللباس وكان في لونهِ اصفرار وفي عينيهِ علامات خوف تدل على انهُ في قلقٍ شديد . ولما دخل قال ارجو اول كل شيء المعذرة لدخولي في هذه الحالة وتركي ارض غرفتكم ملطخة بالمآء والوحل . فبش شرلوك في وجههِ وقال لا موجب للاعتذار فتفضل واجلس بقرب النار فانك في حاجة الى ذلك اذ يظهر انك قادم من هورشام بدليل الطين الكلسي الذي علق بحذآئك .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فقال الفتى نعم وقد اتيت لاستشارتك وطلب مساعدتك فقد سمعت عنك من صديق لي خلصتهُ مرةً من بين مخالب الموت وقد قال لي انك تحل اصعب المشاكل ولذلك جئت اليك ولي كل الثقة انك تساعدني في امر غريب جدًّا لا اظنك سمعت بمثلهِ قط . فقال شرلوك قد ملأتني رغبةً فارجو ان تبدأ بحديثك بالتفصيل. ولما قال هذا اقترب من النار وجلس على كرسيهِ كعادتهِ ومدَّ رجليهِ وبدأ الفتى بحكايتهِ فقال

ان اسمي جون او بنشو واما شغلي فلا علاقة لهُ بما سأقصهُ عليكم لان الحادث لا يختص بي وحدي فهو يتصل بالارث على ما ظهر ولذلك يجب ان ارجع قليلاً الى تاريخ الاسرة . كان لجدي ولدان وهما عمي الياس وابي يوسف . وكان لابي معمل في مدينة كوفنتري زاد اتساعهُ وقت اختراع الدراجات فاحتكر صنفاً دعاهُ باسمهِ ونجح نجاحاً باهراً حتى تمكن اخيراً من بيع المعمل المذكور وتقاعد عن الاشغال ليعيش بريع الاموال الطائلة التي حصل عليها . اما عمي الياس فهاجر الى اميركا من صباهُ واشتغل بالزراعة في ناحية فلوريدا ويقال انهُ نجح ايضاً . ولما ثارت الحرب الاميركية تجند مع جكسن ثم مع هود فترقى الى رتبة كولونيل . ولما نزع القائد لي السلاح عاد عمي الى زراعتهِ حيث بقي اربع سنوات وفي سنة ١٨٦٩ او ٧٠ عاد الى اوربا واشترى مزرعة صغيرة في سسكس قرب هورشام. اما صفات عمي فكان رجلاً غريب الاطوار حادّ الطبع يكثر من شرب البرندي ويحب الوحدة حتى انهُ كان يمضي عليهِ اسابيع متوالية لا يخرج فيها من غرفتهِ . وكان يحبني جدًّا واول مرة نظرني كنت قد بلغت الثانية عشرة من عمري وذلك في سنة ١٨٧٨ اي بعد رجوعهِ الى انكلترا بثماني سنوات فطلب الى والدي ان يسمح لي بالاقامة عندهُ فذهبت اليهِ. وبعد مدة اخذ يدربني في ادارة اشغالهِ لأنوب عنهُ فيها فلم ابلغ السادسة عشرة من عمري حتى اصبحت كانني انا صاحب السيادة المطلقة وفي يدي كل شيء ادخل حيث اريد وافعل ما اشتهي بشرط ان لا ازعجهُ اذا كان في خلوتهِ . ومن الغريب انهُ كان في اعلى المنزل غرفة كبيرة لم يكن يسمح لي ولا لاحد سواي ان

يدخلها بل يحفظ مفتاحها في جيبهِ بكل احتراس . ودعاني يوماً حب الاطلاع الى معرفة ما في تلك الغرفة فنظرت مرةً من ثقب الباب فلم ارَ فيها سوى صناديق سفر ورزم كما يوضع عادة في غرف متروكة كهذه

وفي احد ايام شهر مارس سنة ١٨٨٣ رأيت على المائدة امام كرسي عمي رسالة احضرها البريد وعليها طوابع اجنبية ولم تكن تأتيهِ رسائل قط فاستغربت الامر ولما وقع نظر عمي على الرسالة اظهر العجب واخذها قائلاً « من الهند وعليها طابع بريد پونديشري فما عساها ان تكون يا ترى » . ثم فض الغلاف بسرعة فسقط منهُ خمس بزرات برتقال . فلما رأيت ذلك استغربت في الضحك ولكن ضحكي توقف فجأةً حين نظرت وجه عمي وعليه علامات الدهش واليأس فانفتحت شفتاهُ وجحظت عيناهُ واغبرَّ لونهُ وشخص الى الغلاف الذي بيدهِ وهي ترتجف وقال « ك . ك . ك . آه يا الهي يا الهي ان خطيئتي قد ادركتني » . اما انا فهالني الامر وقلت لهُ ما هذا يا عماه قال الموت يا بنيَّ . ثم نهض عن المائدة ودخل غرفتهُ تاركاً اياي في شدة الخوف والقلق فاخذت الغلاف فلم اجد فيهِ رسالةً ولا كتابة سوى الحرف ك مكرراً ثلاث مرات بالحبر الاحمر داخل الغلاف ولم يكن فيهِ شيء آخر سوى البزرات التي سقطت حال فتحهِ . فلم افهم شيئاً من ذلك المعمى ولما خرجت من غرفة المائدة رأيت عمي نازلاً من غرفتهِ و بيدهِ الواحدة مفتاح قد علاهُ الصدأ علمت انهُ مفتاح الغرفة السرية و باليد الاخرى صندوق نحاس صغير فقال دعهم يفعلون ما شآءوا فلا بد لي من مقاومتهم بعد . ثم نظر اليَّ وقال قل للخادمة ماري تشعل النار في غرفتي وارسل استدعِ لي المحامي فوردهام . ففعلت كما امر ولما جآء المحامي امرني عمي ان ادخل غرفتهُ فوجدت النار فيها متقدة ورأيت كومة من الرماد الاسود كأنهُ اوراق محرقة ووجدت الصندوق النحاسي مفتوحاً وفارغاً قرب النار ولكنني شعرت بقشعريرة عند ما رأيت على غطآء الصندوق من داخل حرف ك مكرراً ثلاث مرات فقال عمي اريد يا جون ان تشهد على وصيتي فانني اترك كل املاكي ومقتنياتي واموالي لابيك وهو يتركها لك من بعدهِ . فاذا تمتعت بها براحة وهنآء فذلك ما

اتمناهُ لك والا فاذا وجدت في الامر عناَء فاعمل بنصيحتي وتنازل عن كل ذلك لأعدى اعدآئك . وانهُ ليسوءني ان القيك بين هذين الطرفين المتناقضين ولكنني لا اعرف ماذا تكون نتيجة حياتي . والآن وقّع على هذه الوصية حيث يرشدك المحامي فوردهام فوقّعت كما أُمرت واخذ المحامي الصك معهُ

وكان لما جرى اشد التأثير عليَّ فجعلت اقلّب كل ذلك في عقلي فلم استطع ادراك شيء زيادةً عما رأيت وسمعت . ومرَّت علينا بضعة اسابيع لم يحدث فيها شيء جديد فخفَّ خوفي ولكنني رأيت انقلاباً في حياة عمي فانهُ صار يكثر من الشرب وزاد ابتعادهُ عن مقابلة الناس فكان يصرف اكثر الوقت في غرفتهِ وقد اقفل بابها من الداخل ثم يخرج منها احياناً فجأةً بحالة سكر شديد وفي يدهِ مسدسهُ فيجري الى الحديقة راكضاً وهو يصيح انهُ لا يخاف من احد ولا يبالي بالتهديد وما اشبه ذلك حتى اذا انقضت نوبة تهيجهِ يعود الى غرفتهِ فيقفل بابها باحتراس ويسجن نفسهُ داخلها

وسكر مرةً وخرج كعادتهِ في مثل تلك النوبات ولم يرجع وعند البحث عنهُ وجدناهُ مطروحاً على وجههِ في حوض صغير في الحديقة ولم يكن عليهِ اقل اثر جناية والمآء في الحوض لايتجاوز علوهُ القدمين وبعد الفحص قرر القضاة انهُ انتحر على اثر احدى النوبات العصبية . اما انا فلم اقتنع بذلك الحكم لعلمي ان عمي يخاف الموت ولا يقدم عليهِ ولكن تنوسي الامر بعد حين وآلت الثروة والاملاك الى والدي بموجب الوصية . وكان شرلوك يسمع الحديث بمنتهى الاصغآء فقطع على الفتى قائلاً ان حكايتك لهي في الحقيقة من اغرب ما سمعت واحب منك ان تتمها بالتفصيل ولكن اسمح لي ان اسألك عن تاريخ وصول الرسالة الى يد عمك وتاريخ انتحارهِ المزعوم . فقال الفتى ان الرسالة وصلت اليهِ في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٨٣ وموتهُ كان بعد سبعة اسابيع في ليل الثاني من شهر مايو . ثم عاد الفتى الى حديثهِ فقال . ولما استلم والدي زمام كل تلك التركة طلبت اليهِ ان يفتح تلك الغرفة السرية التي كانت دائماً مقفلة ففعل فوجدنا الصندوق النحاسي المذكور سابقاً وليس

فيه شيء وعلى غطآئهِ من الداخل حرف ك مرسوماً ثلاث مرات وتحتهُ بعض مذكرات وقيود كانها بيان الاوراق التي كانت فيهِ والتي أتلفها عمي. ولم يكن في الغرفة شيء آخر يستحق الذكر

وفي اوائل سنة ٨٤ أتى والدي فسكن في منزل عمي فيهورشام ولم نزل فيهِ في امن ورخآء الى شهر يناير سنة ٨٥ ففي الرابع منهُ دخلت مع والدي غرفة المائدة لتناول الطعام فما بلغ والدي كرسيهُ حتى سمعتهُ صرخ صراخاً مخيفاً فنظرت اليهِ واذا في يدهِ الواحدة غلاف رسالة مفتوح وفي اليد الاخرى خمس بزرات برتقال يابسة. وكان من عادتهِ ان يهزأ بي حين كنت أخبرهُ عما اصاب عمي غير انني رأيتهُ في ذلك الوقت قد اخذ منهُ الرعب عند ما رأى الرسالة بيدهِ وقد كتب فيها ك.ك.ك. بحبرٍ احمر وفوقها هذه العبارة «ضع الاوراق على المزولة» . فالتفت اليَّ وقال ايُّ اوراق يراد هنا يا ترى واي مزولة. قلت لاشك ان المزولة هي التي في الحديقة اما الاوراق فيغلب على ظني انها الاوراق التي احرقها عمي. فتمالك والدي قليلاً ثم ضحك وقال اننا في عالم متمدن فلا يجب أن يخيفنا مثل هذه الخزعبلات وأرى من طابع البريد ان الرسالة آتية من دندي فلا شك انها اضحوكة لانهُ ماذا يهمني من الاوراق والمزولة والاسرار. قلت أما انا فارى من الواجب ابلاغ الامر الى رجال الشحنة وسافعل قال اياك ان تفعل ذلك فانا لا اريد الاهتمام بامور تافهة كهذه. وكنت اعرف عناد والدي وصلابة رأيهِ فاذعنت ولكن بقلبٍ كسير وخوفٍ كامن. وبعد وصول الرسالة بثلاثة ايام ذهب والدي لزيارة صديق لهُ في بورتسدون فسرني ذهابهُ لانني اعتقدت انهُ سيبتعد عن الخطر غير انهُ بعد ذهابهِ بيومين اتتني رسالة برقية من صديق لهُ هناك يطلب سرعة حضوري لان والدي سقط عن شاهق فوجدوهُ محطم الرأس فاقد الشعور. فاسرعت الى محل الحادثة فوجدت والدي في غيبوبةٍ وتوفي على الاثر. وبعد الفحص قررت المحكمة ان موتهُ كان بسقوطهِ قضآء وقدراً لانهُ لم يظهر علامة جريمة اذ لا آثار أقدام بجانبهِ ولا شيء مفقود من جيوبهِ ولا اقل دليل في جسمهِ فاضطررت ان اكون من رأي القضاة مع ان قلبي كان يوحي اليَّ

انهُ لابدّ من وجود دسيسة او مؤامرة لقتلهِ . وهكذا اصبحت الوارث الوحيد لتلك الاملاك ولم اعمل بنصيحة عمي في تركها لانني لم أعتقد ان تلك المصائب كانت لاجلها . وكانت وفاة والدي في شهر يناير سنة ٨٥ وقد مضى عليها الآن سنتان وثمانية أشهر وقضيت هذا الزمن في هورشام آمناً حتى بدأت اعتقد ان تلك اللعنة قد انتهت من اسرتنا وانقضت بوفاة والدي . ولكنني لسوء الحظ لم البث ان استبشرت بالخير لانهُ في صباح امس ادركني ما ادرك والدي . ثم أخذ من جيبهِ غلاف رسالة وارانا فيهِ خمس بزرات برتقال يابسة وقال قداتاني هذا الغلاف وعليهِ طابع بريد لندن وهو كما ترون نظير الغلاف الذي وصل الى والدي وعليه الاحرف الثلاثة ونفس العبارة أن اضع الاوراق على المزولة . فآه اني لا أستطيع وصف ما حلّ بي وقد أيقنت بالهلاك وشعرت انني اصبحت في قبضة الموت لسبب اجهلهُ . فقال شرلوك خلِّ عنك اليأس يا هذا فالان وقت العمل والنشاط وليس وقت الخوف والاستسلام للموت والا هلكت لا محالة . فقال الفتى قد أخبرت مفتش الشحنة بما جرى فضحك مني هازئاً وقال ان الرسائل ليست الا خزعبلات وان عمي ووالدي ماتا موتاً معروفاً لا علاقة لهُ بتلك الرسائل كما قرر القضاة ومع ذلك فقد خصصوا لي شرطيًّا يحرس منزلي لتسكين جأشي . فقال شرلوك يا لهم من حمقى وهل صحبك الشرطي الى هنا . قال لا لان اوامرهُ كانت تقضي بان يبقى في الحديقة . فقال هولمز ولماذا اتيت اليَّ بل لماذا لم تأتِ لاول وهلةٍ امس . قال لم اكن اعرفك يا مولاي الا اليوم حين كنت اتكلم مع صديق لي فنصح لي بأن استشيرك في الامر . فقال شرلوك هذا اليوم الثاني لوصول الرسالة وكان يجب ان نشرع في العمل من امس فهل عندك شيء تقولهُ بعد . فقال الفتى نعم اني تذكرت انهُ لما احرق عمي الاوراق وجدت في ارض الغرفة بعضاً من اطراف تلك الاوراق لم تلتهمها النار فحفظتها عن غير قصد وقد بحثت عنها بالامس فوجدتها وها هي فلعلها تفيد في شيء . فاخذ شرلوك تلك الاوراق وجعل يفحصها وكانت من الورق الصفيق الازرق وكانها مقطوعة من دفتر مذكرات وعليها تاريخ مارس سنة ١٨٦٩

وتحتها كتابات متقطعة هكذا « في ٤ منهُ اتى هدسون نفس الرصيف القديم . في ٧ منهُ وضعت البزور على ما كولي و بارامور وجون سواين من سانت اوغستين . في ٩ منهُ ما كولي انتهى . في ١٠ منهُ جون سواين انتهى . في ١٢ منهُ زرنا بارامور »

فطوى شرلوك الاوراق واعادها الى الفتى وقال قد فهمت كل شيء والآن فلا تُضع دقيقةً واحدة لانهُ من العبث ان نضيع الوقت بالايضاح فارجع عاجلاً الى المنزل وضع هذه الاوراق في الصندوق النحاسي وضع معها تذكرة منك اكتب فيها ان عمك احرق الاوراق ولم يبقَ منها الا هذه ثم ضع الصندوق بما فيهِ على المزولة . ولا تهتم الآن بالانتقام لان الواجب ان نشتغل اولاً بتحامي الخطر الذي يتهددك و بعد ذلك نستجلي السر وننتقم من القتلة . واكرر عليك ان لا تضيع دقيقة واحدة وان تحترس لنفسك كثيراً و بما اننا الآن في الساعة التاسعة ولا تزال الشوارع مزدحمة فاظن ان لا خطر عليك . فنهض الفتى وقال اشكرك يا مولاي فانني اشعر الآن باني متكل عليك وقد بثثت فيَّ حياةً جديدة وسأرجع في القطار من واترلو فهل اراك غداً في هورشام . فقال شرلوك كلا بل يجب بقائي في لندن لان السر هنا وأعدك انني سأشرع في هذا الامر من الآن . فقال الفتى اذاً تسمح لي ان ازورك غداً او بعدهُ لاطلعك على ما يتم في امر الصندوق والاوراق وآخذ نصيحتك في كل حين ثم ودعنا وانصرف

و بقي شرلوك بعد خروج الفتى حصة من الوقت غارقاً في تأملاته ثم قال لي يا وطسن ان هذه الحادثة من اغرب الحوادث التي مرت علينا . فقلت وهل استطعت ان تحكم بشيء ما مما سمعتهُ حتى الآن . قال ان احد العلمآء اكتشف عظمة واحدة عرف منها جنس حيوان انقرض من قبل زمن التاريخ ولكنهُ قبل الحكم بذلك استغرق وقتاً طويلاً في البحث والتحقيق فان اكن رأيت شيئاً في هذه الحادثة بمقدار تلك العظمة فلا يزال لديَّ بحث كثير وامتحانات جمة . ولكن دعنا نبدأ بالاهم فتكرم وناولني هذا المجلد من الموسوعات الذي فيهِ الحرف ك . واذ لا بد لنا من التخمين لتتبع الامر من بدآءته فلنفرض اولاً ان الكولونيل

او بنشاو عمّ الفتى لا بد لهُ من سبب مهم دعاهُ الى القيام من اميركا ومغادرة مناخ ومعيشة فلوريدا ليأتي ويسجن نفسهُ منفرداً في بلدة مثل هورشام . وان رغبتهُ في الانقطاع التام في منزلهِ تبرهن لنا انهُ كان يخاف من امر يفاجئهُ فنفترض ان هذا الخوف هو الذي جعلهُ يترك اميركا . اما ما يخافهُ فهو ما جآء في الرسائل التي بلغنا امرها . ومن ملاحظة جهات ارسالها يظهر ان الاولى جآءت من پونديشري والثانية من دندي والثالثة من لندن اي انها كلها جآءت من موانئ بحرية مما يدل ان الذي ارسلها مسافر على ظهر مركب . ثم يجب ملاحظة امر آخر وهو ان رسالة پونديشري مضى عليها سبعة اسابيع قبل حصول الانتقام ورسالة دندي حصل القتل بعد وصولها بثلاثة او اربعة ايام فقط فيغلب على ظني ان الرجل او الرجال الذين بعثوا بتلك الرسائل كانوا يرسلونها قبلهم ليصل الانذار قبل وصولهم . ثم يظهر لي انهم حين ارسلوا الرسالة الاولى من پونديشري كانوا مسافرين في مركب شراعي فوصلوا بعد وصول الرسالة بسبعة اسابيع وهو الفرق بين سرعة الباخرة التي تحمل البريد والمركب الشراعي الذي يقلهم . وقد اوصيت الفتى جون بان يتحذر ما امكن لان القتل كان يحصل في المرتين السابقتين عند حلول المدة اللازمة لوصول القاتل ولما كانت الرسالة الاخيرة قد جآءت من لندن فالامر لا يحتمل التأخير لان الخطر قريب . ويلوح لي ان الاوراق التي احرقها او بنشاو هي ذات اهمية عظمى للشخص او الاشخاص الذين في المركب المذكور واری ان الحرف ك المكرر ثلاثاً ليس مقتطعاً من اسم شخص بل هو رمز اسم جمعية فهل سمعت يا وطسن باسم جمعية كو كلوكس كلان

اما انا فكنت اسمع كلام شرلوك وكاني انتقلت الى عالم آخر ولما اتم كلامهُ لم ينتظر جوابي بل عمد الى المجلد الذي كنت قد ناولتهُ اياهُ فقلّب في صفحاتهِ قليلاً ثم قال ها هي جمعية كوكلوكس كلان واسمها مشتقّ من صوت البندقية عند اطلاقها . وهي جمعية سرية مخيفة اسسها بعض الجنود الفارّين من ولايات اميركا الجنوبية بعد الحرب الاهلية ثم صار لها فروع في ولايات اخرى فانتشرت بسرعة ولا

سيما في ولايات تنسي ولويزيانا وكارولينا وجورجيا وفلوريدا . وكان غرضها سياسياً محضاً وهو قرض جنس السود وقتل او نفي من يخالف مقاصد تلك الجمعية وكانت افعالها كثيراً مايسبقها انذار غريب مثل غصن زيتون او بزور بطيخ او بزور برتقال فاذا وصل الانذار الى الشخص المهدَّد وجب ان يقلع حالاً عما هو فيهِ او يغادر البلاد واذا لم يفعل يقتل بطريقة غريبة وغير منظورة . وقد كان ترتيب هذه الجمعية وقوانينها في غاية الدقة والانتظام حتى انهُ لم يسمع عن احد انهُ قاومها ونجا ولا ان حادثة واحدة من اعمالها عُرفت وحصل عنها عقاب . ومع شدة مقاومة حكومة الولايات المتحدة لهذه الجمعية لم تزل تتسع وتزداد الى سنة ١٨٦٩ حين سقطت دفعة واحدة ولم يبقَ منها الاَّ شراذم قليلة متفرقة تظهر وتختفي

ثم وضع شرلوك المجلد المذكور الى جانبهِ وقال هل لاحظت يا وطسن ان تاريخ سقوط الجمعية يوافق الوقت الذي فيهِ غادر او بنشاو اميركا ومعهُ الاوراق ويؤكد لنا ذلك انهُ اصبح عرضة الانتقام هو وذريتهُ لان بعض كبرآء تلك البلاد على ما يظهر دخلوا في تلك الجمعية وكتبت اسمآؤهم في اوراقها فهم يخشون الافشآء وبالطبع لايطمئنون قبل استرجاع الاوراق . ولا يغرب عن بالك ان الاوراق التي انتشلها جون من النار وارانا اياها منذ هنيهة تؤكد لي هذا الزعم بدليل ما جآء فيها من تدوين الحوادث . فانهُ يقول فيها اننا ارسلنا البزور الى فلان وفلان اي التحذير ثم ان فلاناً انتهى اي مات او سافر وان فلاناً زرناهُ اي قتلناهُ . نعم نعم يا وطسن ان هذا هو الحل الوحيد لتلك الرموز ومن المؤكد ان الفتى جون او بنشاو لا خلاص لهُ الا بالطريقة التي اشرت عليهِ بها

ونمنا تلك الليلة ونحن في هاجس على الفتى ولما كان الصباح نزلت الى غرفة الطعام فوجدت شرلوك في انتظاري فقال اعذرني فقد سبقتك لانني ساكون مشغولاً طول النهار في قضية صديقنا بالامس . قلت وماذا عزمت ان تفعل . قال اظن انني سأضطر ان اذهب الى هورشام فاقرع الجرس للخادمة ان شئت لتحضر لك الطعام . وبينما انا انتظر الخادمة اخذت جريدة الصباح ففتحتها وما وقعت عيني

عليها حتى شعرت بقشعريرة وانقباض في قلبي فقلت لهُ يا هولمز قد فات الوقت . فوضع فنجان الشاي من يدهِ وقال آه قد خفت ان يحصل ذلك ولكن كيف تم الامر . فقلت وقعت عيني على هذا العنوان « مأساة عند جسر واترلو » ثم رأيت اسم « اوبنشاو » اما المقالة فهي هذه « ان الشحني الواقف عند جسر واترلو سمع مسآء امس بين الساعة التاسعة والعاشرة صراخ مستغيث وتبعهُ سقوط جسم في المياه . وكان الليل حالك السواد والمطر يتساقط والعواصف مشتدة الهبوب فكان من المحال ان يوجد من يلبي تلك الاستغاثة . ثم انهُ بمساعدة النوتية تمكنوا من انتشال الغريق فوجدوهُ جثة باردة وعلموا من رسالة في جيبهِ ان اسمهُ جون اوبنشاو ومحل سكنهِ هورشام . ويظهر انهُ اسرع ليركب القطار من محطة واترلو ولشدة الظلام والمطر لم يأخذ الرصيف الموصل الى القطار فزلت قدمهُ وسقط الى حافة الجسر ومنها الى البحر . ولدى فحص الجثة لم يظهر فيها اقل دليلٍ على حصول مشاجرة او تعدٍّ واصبح من المؤكد ان هلاك الفتى كان قضآء وقدراً وهو مما يستوجب نظر الحكومة في اصلاح ذلك المحل وانارتهِ »

و بعد تلاوة ذلك بقيت وشرلوك صامتين وكان تأثرهُ شديداً جدًّا و بعد هنيهة قال ان هذا الامر شقّ عليّ جدًّا يا وطسن واعدّهُ زلة عظيمة وخطأً مني ولكنني ارجو ان اكفّر عن ذلك بمساعدة الله بان اقبض على هؤلآء البغاة . آه وا اسفاه يأتي الفتى اليّ طالباً معونتي فارسلهُ الى حتفهِ . . . . وانقطع فجأةً عن الكلام ثم وثب عن كرسيهِ وجعل يخطو في الغرفة ذهاباً واياباً وترتعش اعصابهُ ثم قال انهم بدون شك ابالسة فكيف تمكنوا من اخذهِ الى تلك الجهة مع انها ليست في طريقهِ الى المحطة ولكن لا بد لي من اتمام عملي وها انا ذاهب الآن . ولما رأيت انهُ يفضل الذهاب وحدهُ تركتهُ وعدت الى منزلي فقضيت نهاري في صناعتي ولما كان المسآء عدت الى غرفتهِ ولم يكن قد عاد بعد فانتظرتهُ الى الساعة العاشرة واذا بهِ قد دخل وعليهِ علامات التعب والخوَر . فتقدم توًّا الى المائدة واخذ رغيفاً من الخبز وجعل يلتهمهُ بشرَه ثم نظر اليّ وقال اكاد أموت جوعاً لاني نسيت نفسي

فلم آكل شيئاً منذ الصباح . قلت وماذا فعلت . قال أنهم جميعهم في قبضة يدي فلا يذهب دم جون او بنشاو بدون انتقام . ثم تبسم وقال أحب أن أبعث اليهم بنفس علامتهم ولما قال هذا وثب الى المائدة فأخذ برتقالة قطعها وأخذ خمس بزرات منها فوضعها في غلاف وكتب في داخلهِ « س . ه عن ج . و » ثم ختم الغلافَ وعنونهُ باسم الربان جيمس كلهون في المركب لون ستان بسافانا وقال سيكون لهُ في هذه الرسالة ما يحرمهُ النوم ويعذبهُ عذاباً أشد من عذاب جون او بنشاو. فقلت ومن يكون الربان كاهون . قال هو رئيس العصابة فسأقبض عليهِ أولاً و بعد ذلك اقبض على الباقين . قلت وهل لك ان تخبرني كيف عرفتهم . فأخذ من جيبهِ ورقة مغطاة بالاسمآء والتواريخ وقال انني قضيت يومي كلهُ باحثاً في دفاتر ادارة اللويد وبحثت عن كل باخرة مرّت في پونديشري في شهر يناير سنة ٨٣ فوجدت ستًا وثلاثين باخرة تذبهت منها لاسم مركب يدعى لون ستار لاني وجدت في قيود دندي ان نفس المركب وصل اليها في يناير سنة ٨٥ ثم وجدت انهُ وصل الى لندن في الاسبوع الماضي فنزلت الى المينآء فعلمت انهُ سافر راجعاً الى اميركا ووجهتهُ سافانا. وبما ان الريح موافقة فانا متحقق انهُ قد اجتاز الآن الحدود البريطانية ولكنني سأسعى بارسال بلاغ برقي الى شحنة سافانا ان الربان المذكور واصحابهُ مطلوبون في انكلترا لجريمة قتل ومتى عادوا مقبوضاً عليهم فسينالون من يد العدالة البريطانية ما يخفف من حزني على فقد الفتى وابيهِ وعمهِ . . . .

ولكن قضت التقادير ان لا تصل بزرات البرتقال الى اولئك القتلة وان لا يعلموا بوجود رجل اكتشف مؤامرتهم واظهر مهارة تفوق مهارتهم فان العواصف كانت شديدة جداً في البحر فمضى الوقت الطويل ولم نسمع شيئاً عن مركب لون ستار وبعد مدة نشرت الجرائد ان مركباً بخاريًا وجد في عرض البحر بقايا مركب وقطعة من مؤخرهِ عليها حرفا « ل . س » اي لون ستار وكان ذلك آخر ما عُرف عن المركب واصحابهِ